وقد ذكر المجددين الوارثين جماهير العلما في مصنفاتهم ونصوا على
اشخاصهم باعيانهم منهم الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى ومنهم حجة
الاسلام الامام الغزالي وقد كان منهم ومنهم الامام ابن السبكي رحمه الله
والجلال السيوطي في شرح تائية سيدي عمر بن الفارض والى هنا تم الكلام
وما يتوقف عليه المرام وقد آن ان نشرع في المقصود بالذات وهو من اجل
المهمات قال الشيخ رحمه الله قدمي هذا على كل ولي وعلى ابن الرفاعي قد علا
اقول وبالله التوفيق اعلم ان القدم له اطلاقات كثيرة في علم اللغة
العربية والاصطلاحات الشرعية منها ما استعمل بمعنى الحقيقة
ومنها ما يستعمل بمعنى المجاز قال الله سبحانه وتعالى وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وما ورد في الحديث الشريف في حقيقة
النار فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط فتصفق بها الارياح
وتنبت بها شجر الجرجير فهذا دليل قاطع في اثبات دعوى الحقيقة والمجاز
واما ما ورد في اشعار العرب وضرب امثالهم في استعمال القدم
بالمعنيين فضربنا عن ذكره صفحا وطويناه دونه كشحا لانه لا يسعه
هذا الرقيم والله بكل شيء عليم فاذا فهمت هذا فاعلم ان المراد بالقدم
في كلام الاستاذ السنة والطريقة وهو كلام لا غبار عليه بل المعول عليه
ومعناه حينئذ قدمي هذا الذي هو الطريقة المحمدية والسنة المصطفوية
على كل ولي اتباعه او التحقق به او سلوكه وبالجملة فهو من باب حذف المبتدا
الاخير وابقا الخبر ومثل هذا كثير شايع في العربية لا يحتاج الى ذكر
مسوغاته ويجوز ان يكون على هنا اسم فعل بمعنى لزم كما في قوله تعالى
كتاب الله عليكم اي الزموا كتاب الله وهذا هو المعنى الظاهر المتبادر
الذي ليس فيه احتمال بوجه لتكون على على بابها ومن مارى في اتباع
السنة المحمدية وشك في الطريقة النبوية فقد كفر بما انزل على خير البرية
وانما خصص ابن الرفاعي بالذكر تشريفا له ولانه كان المتعين في ذلك الزمن
فيكون القدم المحمدي اظهر عليه من غيره ويحتمل وجها اخر وهو
ان الاستاذ كان صاحب الوراثة المحمدية في عصره والسلطنة العظمى في
دهره

٦٨

دهره وان جميع الاولياء والمحققين تحت سطوته وامره وهو مخصوص من باطن
المصطفى صلى الله عليه وسلم بخصيصات لم تكن فيمن سبقه من الاولياء ولا من
هو في عصره والا فلا فايدة في كونه سلطانا وفردا وجامعا كما انه صلى الله
عليه وسلم بالنسبة الى جميع الانبياء والمرسلين والخلائق اجمعين مخصوص
من ربه بخصيصات لم توجد في غيره ولم يكرم بها من ربه سواه فكذا من
كان على قدمه ووارثا لولايته صلى الله عليه وسلم وكل من تولى القطبانية الكبرى
فله ان يقول مثل هذا القول ويحتمل وجها ثالثا مبنيا على ما اسلفناه
من انه يجوز للولي المستغرق المدهوش في مشاهدة ربه وانوار نبيه ان
يتكلم على لسان نبيه وعلى لسان الحضرة الالهية فيجوز ان يكون الاستاذ
في استغراقه تكلم على لسانه صلى الله عليه وسلم على انه قد يوجد في المفضول
فضيلة لم تكن في الفاضل وخصيصة لم تكن في الاخص ويرشدك الى هذا
قصة الخضر مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام حيث قال له هل اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا وقول الخضر في الجواب انك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا مع ان سيدنا موسى رسول الله
وكليمه والخضر عالم من بني اسرايل اتاه الله علم الحقيقة كشف بها
خفايا الامور وقد اورد الامام الرازي في التفسير الكبير سوالا وجوابا
على طريقة اهل السنة على قوله تعالى حكاية عن الخضر انك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ولنا مع الرازي مناقشة
في السوال والجواب اضربنا عن ايرادها لانه لا يليق ذكر ذلك بهذا
الرقيم لطوله واذا كان هذا بين ولي ورسول فما بالك بين وليين
ويرشدك الاثر المروي عن امير المومنين علي كرم الله وجهه لو كشف
الغطا ما ازددت يقينا مع قوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم
قال بلى ولكن ليطمين قلبي مع ان سيدنا علي صحابي وسيدنا ابراهيم
رسول وخليل ونبي وقد اجاب الامام الغزالي عن ذلك بما يطول ذكره
هنا فلا يليق ذكره فاذا تقرر عندك ما ذكرنا ظهر ان كلام الاستاذ
في غاية الحسن ومتانة الموقع كيف وقد تضمن كلامه ما ذكرناه
قال الاستاذ رحمه الله واحمد البدوي قد سلكنه في طريق القوم ارباب الـ

Copyright King Saud University